من بداية البعثة إلى الهجرة

بعد أن حُبِّبت العُزلة والخلوة إلى نفس المصطفى صلى الله عليه وسلم، ظل يتردد على غار حراء على قمة جبل النور ، يتعبد لله، ويتأمل في ملكوت السماوات والأرض، ويتعرّض للنفحات الإلهية بحثا للخلاص و تحقيقا للحاجة التي كانت تعتلج صدره الشريف.

فكانت إرهاصات النبوة تأتيه بين الحين والآخر، لتهيّئ روحه تدريجيًّا لتلقّي السرّ الإلهي (النبوة)، فما كان الله تعالى ليمُنَّ عليه بالنبوة ويصطفيه لمقام الرسالة إلا وقد هيَّأه لتلك المنزلة السامية، وهي حمل رسالة الهداية والرحمة للعالمين.

نزول جبريل بالوحي أول مرة:

لما أتمَّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامه الأربعين شرَّفه الله -عز وجل- بنور النبوة؛ وابتعثه هدايةً للناس ونورًا ورحمةً للعالمين.

وقد كانت بعثته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر رمضان، الموافق لشهر أغسطس عام 610 م فقد سئل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم سُئِل عن سبب صيامه ليوم الاثنين، قال: ((ذلك يومٌ وُلِدت فيه، ويومٌ بُعثت - أو أُنزل عليَّ فيه ، وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتئذٍ أربعين سنة؛ لِمَا رواه البخاريُّ بسنَدِه عن ابْن عباسٍ قال: "بُعِث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأرْبعين سنةً" .

وبيان كيفية نزول الوحي عليه صلَّى الله عليه وسلَّم لأول مَرَّة في الحديث الصحيح الذي رواه الإمامُ البخاريُّ - رحمه الله عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنَّها قالتْ: "أوَّل ما بُدِئ به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الوَحْي الرُّؤْيا الصالحة في النوم، فكان لا يَرى رؤيا إلاَّ جاءَتْ مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراءٍ، فيتحنَّث فيه - وهو التعبُّد - الليالِيَ ذوات العدد قبل أن يَنْزع إلى أهله، ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزوَّد لمِثلها، حتَّى جاءه الحقُّ وهو في غار حِرَاءٍ، فجاءه الملَك، فقال: اقرأْ، قال: ما أنا بقارئٍ، قال: فأخذني فغطَّني، حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلَني، فقال: اقرأ، فقلْتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني الثانية، حتى بلغ مني الجَهْدُ ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال :﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾]العلق: 1 - 3.[

فرجع بها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يَرْجف فؤادُه، فدخل على خديجة بنت خُويلدٍ رضي الله عنها فقال: ((زَمِّلوني زملوني))، فزَمَّلوه، حتى ذهب عنه الرَّوْع، فقال لخديجة

وأخبرها الخبَر: ((لقد خشيتُ على نَفْسي))، فقالت خديجة: كلاَّ والله، ما يُخْزيك الله أبدًا؛ إنَّك لتصل الرَّحم، وتَحْمل الكَلَّ، وتُكْسب المعْدوم، وتَقْري الضيف، وتُعين على نوائب الحقِّ، فانطلقَتْ به خديجةُ حتَّى أتَتْ به ورقةَ بن نوفل بن أسد بن عبدالعُزَّى ابن عمِّ خديجة، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يَكْتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمِي، فقالت له خديجةُ: يا ابن عمِّ اسمَعْ من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبَرَه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا النَّاموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذَعًا، ليتني أكون حيًّا إذْ يُخرِجُك قومُك، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((أو مُخْرِجِيَّ هم؟)) قال: نعمْ، لم يأت رجلٌ قطُّ بمثل ما جئْتَ به إلا عودي، وإنْ يدرِكْني يومُك، أنصُرْك نصرًا مؤزَّرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توُفِّي، وفتَر الوَحْي[3].

فترة الوحي:

انحبس الوحيُ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فترة من الزمان، كما ثبَتَ ذلك في بعض طرق حديث عائشة السابق، وفي "الصحيحين" عن جَابِر بن عبدالله أَنَّهُ سَمعَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: ((ثم فتر عني الوحي فترةً)) (رواه البخاري) ، ولم يذكر النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم كم كانت مدة فترة الوحي، واختلفَتْ فيه أقوال العلماء اختلافًا شديدًا. وقد روى ابن سعد عن ابن عباس ما يفيد أنها كانت أياما [فتح الباري].

ولعل من حكمة الله في انقطاع الوحي ليذهب ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلى العود [فتح الباري].

عودة الوحي:

ثم حدَّث النبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن عودة الوَحْي إليه مرةً أخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: "فَبَينَما أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صوْتًا مِنْ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجُئِثْتُ (أي: خفت) مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ :زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ) (المدَّثر:1-5) ثم حمي الوحي وتتابع"(متفق عليه).

الدعوة السرية(ثلاث سنوات):

لما أن نزلت سورة المدثر كان ذلك إيذانًا من الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ببدء الدعوة إلى الله. فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله سرًّا في السنوات الثلاث

الأولى؛ حفاظًا على الدعوة وعلى من معه من المؤمنين وهم قلة؛ حتى لا يعلم المشركون بأمر الدعوة؛ فيقضون عليها وعلى أهلها. وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة بدعوة من يثق بهم ويغلب على ظنه أنه سيدخل في الدين ويحفظ سرّه، وهذا من باب الحكمة والسياسة.

المسلمون الأوائل:

كانت خديجةُ رضي الله عنها أوَّل من دعاها النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الإسلام، فأسلمَت، ثم ثنَى النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بأمين سرِّهأبي بَكْر، فأسلم، ولم يتردَّد، يقول صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنَّ الله بعثَني إليكم فقُلتم: كذبتَ، وقال أبو بكْرٍ: صدقَ. فكان الصدِّيقُ رضي الله عنه أوَّلَ داعيةٍ في الإسلام .

وقد دخل ببركة إسلام أبي بكر ودعوته ثلَّة مباركة، كان لها في الإسلام أعظمُ بذلٍ وبلاء، منهم عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، والزبير بن العوَّام، وهو حواريُّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وابن عمته صفيَّة بنت عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص خال المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم وطلحة بن عبيد الله، وكلُّ هؤلاء الذين دخلوا الإسلام على يد أبي بكر من العشرة المبشَّرين بالجنة رضي الله عنهم أجمعين.

وكان أول من أسلم من الغلمان عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكان ابن ثماني سنين، وقيل: أكثر من ذلك، وكان في كفالة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وكان أوَّلَ من أسلم من الموالي زيدُ بن حارثة، حِبُّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وكان غلامًا لخديجة، فوهبَتْه لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لَمَّا تزوَّجها .

ثم دخل - بعد هذه الثلَّة المباركة جماعة أخرى ، منهم أبو عبيدة بن الجرَّاح، أمين هذه الأمَّة، وسعيد بن زيدٍ من العشرة المبشَّرين، وخبَّاب بن الأرتِّ، وعبدالله بن مسعود، وأسماء، وعائشة.

وتوالَى إسلامُ السابقين الأولين من قريشٍ، فأسلم جعفرُ بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عُمَيس، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مَظْعون، وعمَّار بن ياسر، وصُهَيب الرومي و بلالُ بن رباح، وعمرو بن عبسة ، وياسر وسميَّة والدا عمَّار، والمقداد بن الأَسْود.

فرض من الصلاة:

كانت الصلاة من أوائل ما نزل من الأحكام، وكانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؛ لقوله تعالى: "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ "(غافر: 55).

وكانت إذا حضرت الصلاة ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الشعاب ليصلّوا خفية حتى لا يعلم قومهم بأمر إسلامهم، وقد رأى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وعليّا يصليان مرة، فكلمهما في ذلك، ولما عرف جلية الأمر أمرهما بالثبات.
(السيرة النبوية لابن هشام).

بداية الجهر بالدعوة(الدعوة العلنية):

انتهت الدعوة السرية بعد مرور ثلاث سنوات من البعثة النبوية، وذلك عند نزول قوله تعالى: (وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ) [الشعراء: 214] فكانت تلك الآية إيذانًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة إلى الله، وانتهاءً للمرحلة السرية، فكان بدء الدعوة بالعشيرة؛ لأنها قد تعين على نصرته ؛ ولما لمكة من مكانة دينية؛ فتؤثر على بقية القبائل.

فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن خضع وأذعن لأمر الله تعالى، وسارع إلى جبل الصفا ليعلم عشيرته الأقربين، يقول ابن عباس -رضي الله عنه-: «لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ٢١٤) صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بني فِهْرٍ، يَا بني عَدِيٍّ» -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أبو لَهَب وَقُرَيْشٌ، فقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيكُمْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ (تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢) [المسد:1 - 2]

لكن كفار قريش لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم رغم شهادتهم له أنه الصادق الأمين؛ ورغم ذلك ظل النبي صلى الله عليه وسلم يبذل كل ما في وسعه ليخرجهم من عبادة الأوثان إلى عبادة رب العباد وحده لا شريك له، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير في الأسواق ويقول لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله تُفْلِحُوا» (رواه أحمد).

معجزة انشقاق القمر:

ولما لم تفلح أساليب الكفار في مجابهة الدعوة والنيل منها، رأوا أن يطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرًا تعجيزيًّا ،فطلبوا منه أن يشق لهم القمر نصفين.ظنًّا منهم أنهم بذلك سيعجزونه ويكفون أمر دعوته، فكان لهم ما أرادوا فقد انشق القمر نصفين بين جبل أبي قبيس؛ آيةً من الله بيّنة وعلامةً ظاهرة جلية، تكون حجة على المشركين وحجة لنبيه صلى الله عليه وسلم: يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ

اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: اشْهَدُوا» (رواه البخاري).

و قد نزل القرآن ليسجل تلك المعجزة (معجزة انشاق القمر) فتذكر في الكتاب العزيز إلى قيام الساعة في سورة تسمى سورة القمر، قال تعالى: (ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ٢) [القمر: 1-2].

فلما انشق القمر قال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة (يشيرون إلى أبيه من الرضاعة زوج مرضعته حليمة) فقال: رجل منهم: إن محمدًا إن كان سحر القمر، فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا؟ فسألوا، فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك.

بداية محاربة الدعوة والتنكيل بالنبي ﷺ ومن آمن معه:

لم يكتف الكفار بتكذيب الدعوة الإسلامية، بل إنهم سلكوا أساليب شتى لمجابهتها والصد عنها، منها: السخرية والاستهزاء من الإسلام والنبي -عليه الصلاة والسلام-، ومن أتباعه: فتارة يدَّعون أنه رجل مسحور، وتارة يدَّعون أنه ساحر كذَّاب، وتارة شاعر مجنون إلى غير ذلك .

وكانوا إذا رأوه ينظرون إليه مغضبين ناقمين، كما قال الله تعالى : (وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ٥١) [القلم: 51]

كما كانوا يتهكمون به إذا رأوه، فيقولون استهزاءً: (أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ) [الأنبياء: 36]، وإذا رأوا ضعفاء الصحابة - رضي الله عنهم - قالوا استهزاءً وسخرية: (أَهَٰؤُلَآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنۢ بَيْنِنَا) [الأنعام: 53].

فلما لم يفلح أسلوب السخرية والاستهزاء في الصد عن هذا الدين، لجأوا إلى الحيلولة بين الناس وبين الاستماع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم؛ لأن الحق متى وصل للناس كما أنزل فسرعان ما تؤمن به، فكانوا يرفعون أصواتهم عند سماع القرآن ويصنعون الضوضاء كلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاول أن يدعو أحدًا أو يسمعه القرآن، وقد تواصوا بذلك فيما بينهم، قال الله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ٢٦) [فصلت: 26].

وكان القرآن ينزل بدحض أباطيلهم وزعمهم فيقرعهم بالرد فلا يستطيعون له دفعًا في غير ما آية، منها قوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩) [يس: 78، 79].

فلما لم تفلح تلك الأساليب في الصد عن الإسلام والدعوة إليه، سلكوا مسلك الإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، معتقدين أنهم بإيذائهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتعذيبهم لأصحابه سينالون من عزيمتهم فيرضخون لهم ويطيعونهم فيما أرادوا.

نماذج من تنكيل المشركين بالصحابة رضي الله عنهم:

- قام أبو بكر يوما خطيبا في المسجد الحرام ذات يوم فضربه المشركون ضربا شديدا، وممن ضربه عتبة بن ربيعة حيث جعل يضربه على وجهه بنعلين مخصوفتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تميم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملوه في ثوب إلى منزله، ولا يشكون في موته، وأقسموا لئن مات أبو بكر ليقتلن عتبة بن ربيعة.

- كان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل، ثم يدخنه من تحته ، كما أوثقه رباطا، وأقسم ألا يحله إلّا إذا ترك الإسلام، فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام، فلما رأى عمه صلابته في دينه تركه .

- لما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيتها، وكان من أنعم الناس عيشا.

- وعندما سمع أبوذر الغفاري بخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم جاء ودخل مكة، وأخذ يسأل عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ضربه أهل مكة حتى غشي عليه، وكاد أن يموت، فخلّصه العباس- رضي الله عنه- منهم .

- أمّا بلال بن رباح فكان مملوكا لأميّة بن خلف الجمحي، وكان يعذبه بإلقائه في الرمضاء على وجهه وظهره، ويضع الصخرة العظيمة على صدره، وذلك إذا حميت الشمس وقت الظهيرة، ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، وبلال صابر يردد كلمة: «أحد.. أحد» . وأخيرا استبدله أبو بكر الصديق بعبد مشرك عنده وأعتقه- رضي الله عنهما-.

- وأمّا عمّار وأمه ووالده ياسر فقد كانوا يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّها، فمر بهم النبي صلّى الله عليه وسلّم وهم يعذبون، فقال: «صبرا آل ياسر

فإن موعدكم الجنّة» . فمات ياسر تحت التعذيب.وأمّا سميّة فقد أغلظت القول لأبي جهل فطعنها بحربته فماتت شهيدة، فكانت أول شهيد في الإسلام.

وأمّا النساء المؤمنات زنّيرة وأم عبيس ولبيبة والنهدية فقد عذّبن كذلك أشدّ العذاب من قبل مواليهنّ ولم يرجعن عن دينهنّ.

الهجرة الأولى إلى الحبشة وإشارات الوحي:

اشتدّ الاضطهاد والتنكيل بالنبي وصحبه في أواسط السنة الخامسة، حتى ضاق بهم المقام، وأصبح لزاما عليهم التفكير في سبيل للخلاص من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الساعة الحرجة نزلت سورة الكهف التي اشتملت الكثير من الردود على أسئلة المشركين، كما انطوت على الكثير من المواساة للنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه. فقد اشتملت على ثلاث قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين، فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، قال تعالى" وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً"(الكهف: 16).

أما قصة الرجل الصالح الخضر مع نبي الله موسى ففيها إشارة إلى أن ظواهر الأمور ليست هي الحاكمة دائما، وأن عطاء الله لا يحكم عليه بالظواهر دائما، بل ربما يكون الأمر على عكس ذلك بالكامل.وكان في ذلك إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستنعكس نصرا وفتحا للمستضعفين على الطغاة والمشركين.

أما قصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده. وأن الله لا يزال يبعث من عباده- كلما اقتضت مشيئته ذلك- من يخرج عباده من الجور على العدل ،ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم والنور الرباني.

و قد بلغ إلى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملك الحبشة (أصحمة النجاشي) ملك عادل، لا يظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة.

وفي رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة. كان مكونا من اثني عشر رجلا وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه بنت رسول الله صلى الله

عليه وسلم السيدة رقية ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهما:"إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام".

وقد كان الرحيل خفية في الليل ، ويسر الله أن وجدوا سفينتين تجاريتين في ميناء "شعيبة" أو صلتاهما على الحبشة واستقروا هناك بأمان تام.

وفي رمضان من نفس السنة نزلت سورة النجم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم على الحرم حيث كان هناك جمع غفير من قريش، فاخذ يتلو عليهم هذه السورة، فذهلوا لما سمعوه من بديع كلام الله تعالى فقد زلزلوا بذلك زلزالا شديدا فما إن وصل النبي صلى الله عليه وسلم على خواتيمها وتلا آية السجدة "اسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا "(النجم: 62)حتى خرّ معه الجمع ساجدين دون وعي بما حلّ بهم. وقد عوتب من أقدم على السجود عتابا شديدا من قبل من لم يحضر، فاضطروا لتبرير "فعلتهم" بأنهم إنما سجدوا لأنهم سمعوا ثناء على آلهتهم فسجدوا تبعا لذلك، واستمروا في تكذيبهم وافترائهم.

وقد بلغ إلى من هاجر إلى الحبشة خبر هذا السجود وأن قريشا قد أسلمت، فرجعوا في شوال من نفس السنة. لكنهم لما علموا بحقيقة الأمر رجع بعضهم إلى الحبشة ودخل البعض الآخر خفية أو في جوار.

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

لما ازداد بطش قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وبعد أن تيقن النبي صلى اله عليه وسلم بان السبيل الوحيد لحماية أتباعه من بطش أعدائه هو الرحيل بعيدا عن مكة، أمر أصحابه الهجرة مرة أخرى إلى الحبشة، طلبا لجوار النجاشي.لكن ما لبثت قريش ان علمت بخبر هذه الهجرة فتعقّبتهم، لكن العناية الإلهية تدخّلت فتمكّن المهاجرون من الوصول إلى الحبشة بسلام دون أن تدركهم قريش.

لم يتقبّل المشركون أن يحظى المهاجرون بفرصة الملاذ في الحبشة، وكان من تدبيرهم أن يرسلوا وفدا إلى النجاشي ومعه الهدايا النفيسة، واختاروا لهذه المهمة عمرو بن العاص(قبل لأن يسلم) وعبد الله بن أبي ربيعة . وقد كان لتلك الهدايا النفيسة الأثر البالغ على بطارقة النجاشي، فقد انحازوا لمطلب قريش بتسليم هؤلاء اللاّجئين لوفد قريش. لكن النجاشي اختار أن يسمع من الطرفين قبل إصدار حكمه. فقال له وفد قريش: "أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه".وقد انحاز البطارقة إلى هذا المنطق لما حصلوا عليه من الهدايا، لكن النجاشي أراد أن يسمع من المهاجرين فأرسل في طلبهم، وسألهم:" فقال لهم النجاشي :ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

فكان الناطق الرسمي للمسلمين هو جعفر بن أبي طالب، فكان خطابه جامعا مانعا،فيه من الحجة ما جعل النجاشي يطمئن قلبه إليه، حيث أجاب رضي الله عنه بقوله: " أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام- فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا

علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاّ نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي :هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر :نعم! فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ. فقرأ عليه صدرا من "كهيعص"(سورة مريم)، فبكى والله النجاشي حتى اخضلّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي :إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون- يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه- فخرجا"

لكن وفد قريش لم ييأس، ففكّر في مناورة أخرى. فلما كان اليوم الموالي، عاد عمرو بن العاص إلى النجاشي وقال له:"أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما"، فأرسل النجاشي في طلب المسلمين مرة الأخرى، ولما حضروا سألهم عن قولهم في عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال له جعفر :"نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول" فأخذ النجاشي عودا من الأرض، ثم قال :والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته، فقال :"وإن نخرتم والله". ثم قال للمسلمين :اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي (الشيوم :الآمنون بلغة الحبشة) من سبّكم غرم، قالها ثلاث مرات، ما أحب أن لي دبرا من ذهب وأني آذيت رجلا منكم. ومعناه أني لن أوذيكم ولو أعطوني جبلا من ذهب.

فأمر النجاشي بردّ الهدايا إلى وفد قريش معتبرا إياها رشوة وقال: "و الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فاخذ الرشوة فيه".

وقد طالت مدة إقامة المسلمين في الحبشة بعد الهجرة الثانية، حيث ظلّوا هناك إلى ما بعد غزوة خيبر، ولم تكن إقامتهم برغبة منهم، وإنّما بأمر من رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، ومن الأحداث التي حصلت أثناء وجودهم في الحبشة: الهجرة النبوية إلى المدينة المُنوَّرة، وتأسيس الدولة الإسلاميّة، وعلى الرغم من احتياج النبيّ إليهم؛ لأنّ عددهم كان

كبيراً، إلّا أنّه لم يطلب منهم العودة.

تهديد قريش لأبي طالب:

لما لم تفلح قريش في استدراج النجاشي إلى مطلبهم، فكّروا في سبيل آخر لقطع دابر هذه الدعوة التي لا تزداد إلاّ قوة وشيوعا. وقد كانوا يضعون نصب أعينهم عقبة عظيمة دون ذلك هي وجود شخص أبي طالب الذي كان سدّا منيعا في وجه قريش. فراحوا إلى أبي طالب يستثيرون فيه مكانته في قريش، ويهدّدونه في نفس الوقت إن لم يثن ابن أخيه عن دعوته.

أحسّ أبو طالب بصعوبة الموقف في مواجهة وقريش وبخطرهم الدّاهم فما كان منه إلا أن كلّم ابن أخيه في الأمر فقال له:" يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله، وأنه ضعف عن نصرته، فقال :يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر- حتى يظهره الله أو أهلك فيه- ما تركته، ثم استعبر وبكى، وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب فلما أقبل قال له :اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدا". وكان هذا الوعد من أبي طالب رسالة مواساة أخرى لمحمد صلى الله عليه وسلم.

ولما عرفت قريش موقف أبي طالب، وأيقنت أن محمدا صلى الله عليه وسلم ماض في امر دعوته لا محالة، فكرت في مقايضة أب طالب بإعطائه احد فتية قريش بديلا عن ابن أخيه على أن يسلمه لهم. فأبى أبو طالب أن يخذل ابن أخيه وقال لهم:" والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه. هذا والله ما لا يكون أبدا". وقد كانت هذه المناورة في السنة السادسة للهجرة على الأرجح.

محاولات قتل النبي صلى الله عليه وسلم:

لما يئست قريش من أبي طالب،راجت في فكرها مسالة قتل النبي صلى الله عليه وسلم وقد كانت هناك محاولات عديدة، لكن العناية الإلهية التي جعلت النار بردا وسلاما على

إبراهيم، جعلت كيد قريش في نحورهم. ومن ذلك أن عتيبة بن أبي جهل هجم ذات يوم على النبي صلى الله عليه وسلم وقال :أنا أكفر ب "النجم إذا هوى" و "بالذي دنا فتدلى، ثم شقّ قميص النبي صلى الله عليه وسلم، وتفل في وجهه، إلا أن البزاق لم يقع عليه، وحينئذ دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال :"اللهم سلط عليه كلبا من كلابك"، وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم، فقد خرج عتيبة مرة في نفر من قريش، حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء، فطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول :يا ويل أخي، هو والله آكلي كما دعا محمد عليّ، قتلني وهو بمكة، وأنا بالشام، فغدا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه.

ولم يثن كل ذلك قريشا عن محاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تواطؤوا على أن يثبوا عليه وثبة رجل واحد، ففعلوا ولم يخلّصه من بين أيديهم إلا أبو بكر الذي قام إليهم وهو يبكي ويقول :أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه .قال ابن عمرو :فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط.

إسلام حمزة وعمر:

في هذا الجو المليء بالبطش والتنكيل والكيد للمسلمين أشرقت بارقة عظيمة بإسلام حمزة بن عبد المطلب، أحد أقوى وأشرس رجال قريش . وسبب إسلامه أنه رجع ذات يوم من الصيد فأخبرته ان أبا جهل ضرب ابن أخيه فشجّ رأسه وسبّه. فتحركت الحمية في حمزة، فراح على أبي جهل ونال منه. وقد أعلن حمزة إسلامه أول الأمر حمية لكن ما لبث أن أظهر من نفسه الصدق الذي رفعه مقاما عليا حتى أصبح يلقب ب"أسد الله".

ثم توالت البشائر بإسلام أحد أعظم رجال قريش في الجاهلية والإسلام عمر بن الخطاب ، واعتز به المسلمون أي اعتزاز. وقد كان إسلامه بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة. فنزل هذان الخبران على قريش مثل الصاعقة.

حصار النبي صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم:

اتفقت قريش على مقاطعة رسول صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني المطلب ألا يبايعوهم، ولا يناكحوهم ولا يخالطوهم، حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة... وضربوا حصارا على شعب بني هاشم ، واستمرت المقاطعة الشاملة سنتين أو ثلاثا، لقي فيها الرسول ومن معه عنتا كبيرا. وقد تخلّف عنهم أبو لهب الذي كان يوالي المشركين.

الأرضة تأكل الصحيفة ويرفع الحصار:

في هذا الوضع العصيب، جاءت التسلية الربانية، حيث أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأنه أرسل إليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم؛ إلا ذكر الله عز وجل، فأخبر بذلك عمه فخرج إليهم فأخبرهم أن ابن أخيه قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خلّينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن ظلمنا، قالوا: أنصفت... فأنزلوا الصحيفة فلما رأوا الأمر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ازدادوا كفراً وعناداً... ثم انتهت المقاطعة بعد وساطة عقلاء من قريش. ورفع الحصار عن الشِّعب.

عام الحزن:

مات أبو طالب عم الرسول في السنة العاشرة من البعثة، وكان في حياته شديد الدفاع عن ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما مات أبو طالب جرؤت قريش على تشديد الأذى للنبي صلى الله عليه وسلم، لذلك كانت وفاته احد اسباب حزن النبي صلى الله عليه وسلم. في نفس السنة ماتت خديجة رضي الله عنها ، وقد كانت خديجة تخفف عن الرسول همومه وأحزانه لما يلقاه من عداء قريش، فلما ماتت حزن عليها حزنا شديدا، وسمي ذلك العام الذي مات فيه عمه أبو طالب وزوجه خديجة عام الحزن.

قصّة الطائف:

ولما اشتد على الرسول صلى الله عليه وسلم كيد قريش وأذاها بعد وفاة عمه وزوجه، توجّه إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، ولكنهم ردوه ردا غير

جميل، وأغروا به صبيانهم فقذفوه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الطاهرتين، ثم التجأ إلى بستان من بساتين الطائف، وتوجه إلى الله بهذا الدعاء :**"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"**. ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف دون أن تستجيب ثقيف لدعوته.

معجزة الإسراء والمعراج:

وقعت معجزة الإسراء والمعراج وقد اختلف في تاريخ وقوعها، والصحيح الذي عليه جماهير العلماء أنهما وقعا في ليلة واحدة يقظة بالجسد والروح، أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العلى، ثم عاد إلى بيته في مكة تلك الليلة، وأخبر قريشا بأمر المعجزة، فهزئت وسخرت، وصدقه أبو بكر وأقوياء الإيمان.
وفي هذه الليلة فرضت الصلوات خمسا على كل مسلم بالغ عاقل.

دعوة القبائل في موسم الحج:

وفي أثناء مرور الرسول صلى الله عليه وسلم على القبائل في موسم الحج-كعادته في كل عام- لدعوتهم إلى الإسلام وترك عبادة الأوثان، وبينما هو عند العقبة التي ترمى عندها الجمار، لقي رهطا من الأوس والخزرج، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا، وكان عددهم سبعة، ثم عادوا إلى المدينة، فذكروا لقومهم لقياهم النبي صلى الله عليه وسلم، وما دانوا به من الإسلام.

بيعة العقبة الأولى:

وفي العام التالي لاثنتي عشرة سنة من البعثة وافى موسم الحج اثنا عشر رجلا من الأنصار،

فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه، فلما عادوا أرسل معهم مصعب بن عمير إلى المدينة ليقرئ المسلمين فيها القرآن، ويعلمهم الإسلام، فانتشر الإسلام في المدينة انتشارا كبيرا.

بيعة العقبة الثانية:

وفي العام الذي يليه حضر من الأنصار جماعة في موسم الحج فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مستخفين، وكانوا سبعين رجلا وامرأتين، وبايعوه على النصرة والتأييد، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وعادوا إلى المدينة بعد أن اختار منهم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم.

أحداث الهجرة إلى المدينة:

علمت قريش بإسلام فريق من أهل يثرب، فاشتد أذاها للمؤمنين بمكة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، فهاجروا مستخفين، وقال لهم: من أراد أن تثكله أمه فليلحق بي غدا ببطن هذا الوادي، فلم يخرج له أحد.

ولما أيقنت قريش أن المسلمين قد أصبحوا في المدينة في عزة ومنعة، عقدت مؤتمرا في دار الندوة للتفكير في القضاء على الرسول نفسه، فقرَّ رأيهم على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى جلدا، فيقتلوه جميعا، فيتفرق دمه في القبائل، ولا يقدر بنو مناف على حربهم جميعا، فيرضوا بالدية، وهكذا اجتمع الفتيان الموكلون بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم على بابه ليلة الهجرة ينتظرون خروجه ليقتلوه.

لم ينم الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على فراشه، وإنما طلب من علي رضي الله عنه أن ينام مكانه، وأمره إذا أصبح أن يرد الودائع التي كان أودعها كفار قريش عنده إلى أصحابها، وغادر الرسول صلى الله عليه وسلم بيته دون أن يشاهده الموكلون بقتله، وذهب إلى بيت أبي بكر، وكان قد هيأ من قبل راحلتين له وللرسول صلى الله عليه وسلم، فعزما على الخروج، واستأجر أبو بكر عبد الله بن أريقط ، وكان مشركا، ليدلهما على طريق المدينة، على أن يتجنب الطريق المعروفة إلى طريق أخرى لا يهتدي إليها كفار قريش.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول لسنة ثلاث وخمسين من مولده عليه الصلاة والسلام، ولم يعلم بأمر هجرته إلا علي رضي

الله عنه وآل أبي بكر رضي الله عنه، وعملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر في تهيئة الزاد لهما، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها- وهو ما يشد به الوسط- فربطت به على فم الجراب- وعاء الطعام- فسميت لذلك: ذات النطاقين، واتجها مع دليلهما عن طريق اليمن حتى وصلا إلى (غار ثور)، فكمثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف (حاذق) لقن (سريع الفهم)، فيخرج من عندهما بالسَحَر، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائما فيها، فلا يسمع من قريش أمرا يبيتونه لهما إلا وعاه حتى يأتيهما في المساء بخبره.

قامت قيامة قريش لنجاة الرسول صلى الله عليه وسلم من القتل، وخرجوا يطلبونه من طريق مكة المعتاد، فلم يجدوه واتجهوا إلى طريق اليمن، ووقفوا عند فم (غار ثور) يقول بعضهم: لعله وصاحبه في هذا الغار. فيجيبه الآخرون: ألا ترى إلى فم الغار كيف تنسج عليه العنكبوت خيوطها، وكيف تعشعش فيه الطيور، مما يدل على أنه لم يدخل هذا الغار أحد منذ أمد، وأبو بكر رضي الله عنه يرى أقدامهم وهم واقفون على فم الغار، فيرتعد خوفا على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول له: والله يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآنا، فيطمئنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟".

وقد أرسلت قريش في القبائل تطمع كل من عثر على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه، أو قتله، أو أسره، في دفع مبلغ ضخم من المال يغري الطامعين، فانتدب لذلك سراقة بن جعشم، وأخذ على نفسه أن يتفقدهما ليظفر وحده بالجائزة. بعد أن انقطع طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، خرجا من الغار مع دليلهما وأخذا طريق الساحل (ساحل البحر الأحمر) وقطعا مسافة بعيدة أدركهما من بعدها سراقة، فلما اقترب منهما، ساخت قوائم فرسه في الرمل فلم تقدر على السير، وحاول ثلاث مرات أن يحملها على السير جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، عندئذ أيقن أنه أمام رسول كريم، فطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعده بشيء إن نصره، فوعده بسواري كسرى يلبسهما، ثم عاد سراقة إلى مكة فتظاهر بأنه لم يعثر على أحد.

وصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وبعد أن طال انتظار أصحابه له، يخرجون كل صباح إلى مشارف المدينة، فلا يرجعون إلا حين تحمى الشمس وقت الظهيرة، فلما رأوه فرحوا به فرحا عظيما، وأخذت الولائد ينشدن

بالدفوف:

طلع البدر علينا ** من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ** ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ** جئت بالأمر المطاع.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى المدينة قد وصل إلى (قباء) وهي قرية جنوب المدينة على بعد ميلين منها، فأسس فيها أول مسجد بني في الإسلام، وأقام فيها أربعة أيام، ثم سار صباح الجمعة إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فبنى مسجدا هناك وأقام أول جمعة في الإسلام، وأول خطبة خطبها في الإسلام، ثم سار إلى المدينة، فلما وصلها كان أول عمل عمله بعد وصوله أن اختار المكان الذي بركت فيه ناقته ليكون مسجدا له.

ثم كان أن آخى المهاجرين والأنصار، فجعل لكل أنصاري أخا من المهاجرين، فكان الأنصاري يذهب بأخيه المهاجر إلى بيته، فيعرض عليه أن يقتسم معه كل شيء في بيته.